قصة قصيرة

اكتمل الحُلم

إيمان الحُريبي

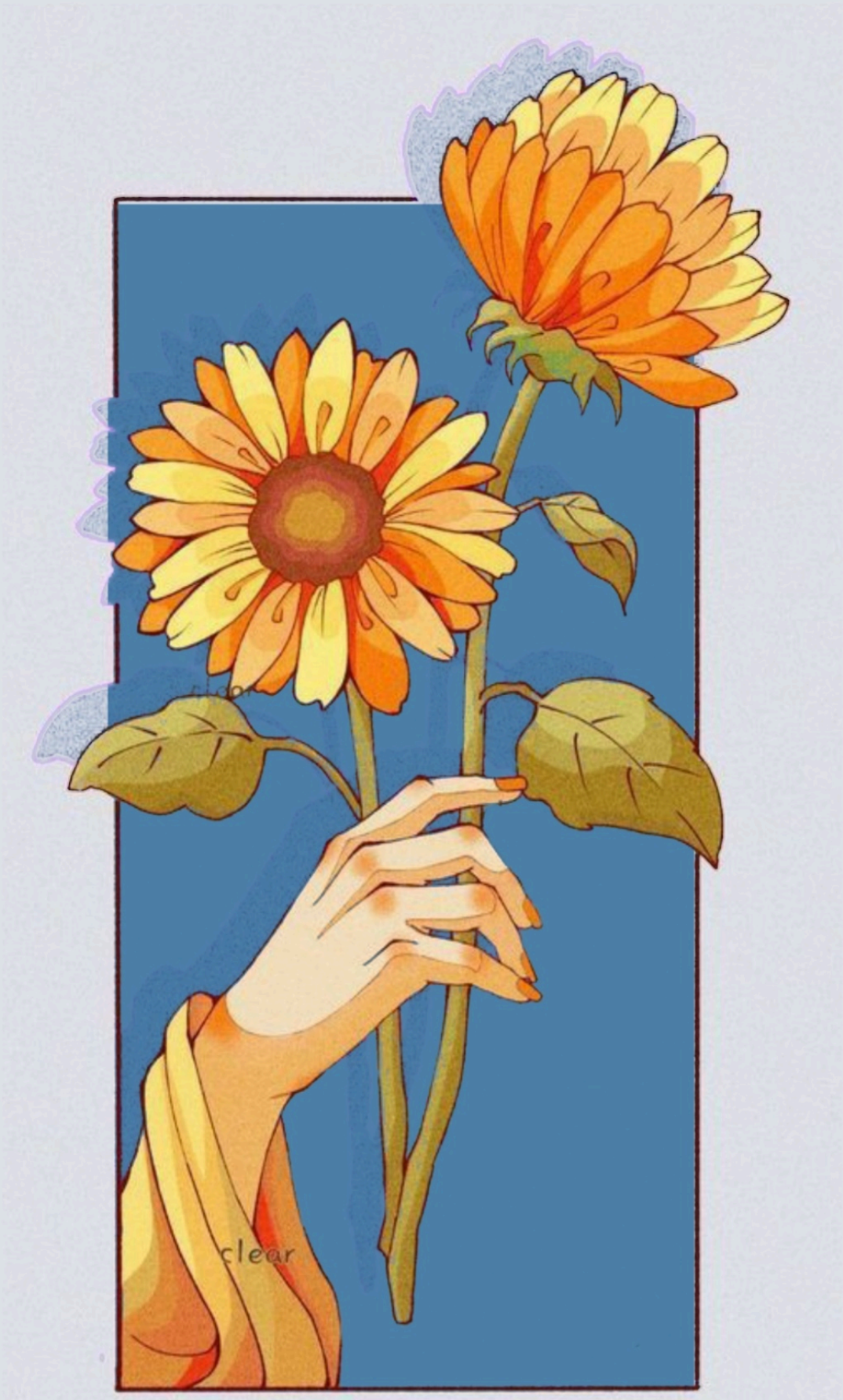

اكتمل الحُلم

إيمان الحُريبي

جميع الحقوق محفوظة©

عنوان الكتاب: اكتمل الحلم.

نوع الكتاب: قصة قصيرة.

تأليف: إيمان الحريبي.

تدقيق لغوي: منال عبدالله.

عدد الصفحات: 27

تصميم الغلاف: فريق نرقى دار محافل للتنسيق الإلكتروني.

الناشر الإلكتروني: دار المحافل للتنسيق الإلكتروني .

لمتابعة جديد دار محافل واتس أب:479 778 149 967+

تيليجرام https://t.me/darmhafel

انستجرام https://www.instagram.com/mhavl_223?igsh=NnhmdnppaXV4Mml5

واتس أب https://whatsapp.com/channel/0029VagwfQA35fLpqYy7oS43

[يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم #اكتمل_ الحلم].
_ويمنع منعاً باتاً اقتصاص أي جزء بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية إلا بموافقة المؤلف.

(إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر با لضرورة عن رأي دار محافل).

باقة شكر

لمحمد عبدالله الحُريبي الذي قرأت له أول نص أدبي كتبته فأدمعت عيناه فكان كلما حظرت أمامهُ يُناديني بإبنتي الكاتبة فكتبتُ جريح في وطني وكأن هو ملهمي ثم عزفت على الأسطر مذكرة نوفمبرية فقال ليّ بعد أن أكمل قرأته : أنتِ مشروع كاتبة وهذه المذكرة توحي بإيمان أعظم

اكتمل الحُلم ياخال وهذا كتابي كُتب بتشجيعٍ منك

ولمن أستمديتُ موهبتي من اسمها أختاً لم تلدها أمي

صديقةُ الطفولة والصبا ورفيقةُ الضحكات والدمعات عاشت أحداث حياتي منذ نعومة أظافري

القريبة من الروح على مر الزمن لمن أقول لها مواهبي

ثم لمن علمتنا أن الآحلام لاتتحق إلا بالصبر والإصرار والإرادة ولا مجال للمستحيلات في حياة الأنثى فكتبت على الورقة الأخيرة في كتابي

Always remember this line

”Never cry, but try“

لأم بعد أمي ومعلمتي

فاطمة الحريبي

والشكر أيضاً

لدكتور /جبران محمد الجهلاني

ومحمد مقبل الهيثمي

الإهداء

. إلى كلِ فتاةٍ يمنية تُناضل لتحقيقِ أحلامها المتضررة من صدماتِ الحياة.

في لحظات الحزن وألم الروح، يشعر الإنسان وكأن الزمن قد توقف، وكأن الحياة أصبحت ثقلاً لا يحتمل الأحزان، ومرارة الفقد جزء لا يتجزأ من الرحلة الإنسانية، فهي تجربة تلامس أعماقنا وتختبر قوتنا الداخلية، قد نشعر أن الأيام تمضي ببطء، وأنَّ كل لحظة تحمل في طيّاتها وجعًا لا ينتهي ولكن مع ذلك نتمسّك بالصبر، لأن في الصبر خير.

ـ إيمان الحُريبي

ما قبل البداية

اليوم هو موعد تَخرجي منْ كلية الطب، تمنيتُ لو أنها اليوم بجانبي؛ لتُشاهدني وقد حققتُ حُلمها، فأضع هذه القبعة على رأسها وأسلمها شهادتي التي تمنتْ أن تَحملها.

لو أنكِ اليوم هنا ياأمي فأشير لهم وأقول: هذه أمي سيدة حلمي، جميع الأمهات هنا إلّا أنا محرومةٌ منكِ، تمنيتُ لو أنَّ أبي بجانبي أُقبل رأسه هو الآخر وأشاهد إنبعاث السعادة من عينيه.

تُشرقُ الشمس ببهجتها وتتفتح الأزهار بمرورها

تملأُ روح من حولها بالأمل كأن لها من اسمها نصيب تبعثُ الأمل بإبتسامةِ ثغرها، لم تكن مُجرد فتاة عادية كانت ذكية وطموحة وتسعى لتكن طبيبة، كانت دراسة الطب أعظمُ أحلامها، لقد كانت الأولى دومًا في دراستها والمبدعة على الدوام وتُبهج الصغير والكبير كان تواضعها يأسر الألباب وهذا ما جعلها تسمو في قلوب من حولها بأدبها وذكائها وعفتها ورحمتها، كانت أختًا لأخوين وأخت هي أوسطهم، لها أمٌ تَحثها على مواصلة تعليمها، تفرح بإنجازات ابنتهاوينبعث نور السعادة على قلب الأم كل ما رأت صغيرتها تتفوق في دراستها، أما والدها فقد كان يملؤه الجشع والطمع فكان يوسعها ضربًا ويمنعها من الذهاب إلى المدرسة لم يكن لها مشجعًا وداعمًا امتلأ عقله بالتخلفِ الحجري، فكانت تذهب دون علمه لكن في نهايةِ المطاف فُضح أمر ذهابها فما كان لحدها الجميل سوى تحمل صفعة لتسيل دمائه، وما كان لجسدها سوى تحمل الضرب فلم يكتفي ولم يهدأ غضبه فأحرق أغراضها المدرسية، فاحترقت أحلامها مع دفاترها وأقلامها، وعند حلولِ الليل قرر أن يزوجها دون رحمةِ الأبوة ليصرخ في وجهها

"سيأتون غدًا لطلب يدكِ وسيُعقد قرانكِ فكوني عاقلة وإلا كسّرتُ رأسكِ"

عزم على أن تذبل هذه الزهرة!

وتلك الليلة أُحرق حلمها، فحياتها لم تكن مؤهلة للزواج، فقد كان الزواج مبكرًا لمن في سِنها

ترتمي لحضن والداتها:

"أمي أُفديكِ فلتقولي شيئًا لا أُريد الزواج أقنعي أبي بأن يتراجع عن هذا القرار"
لتنهال أمها هي الأخرى بالبكاء على صغيرتها فما باليد حيلة ولا سلطة لها لتقف أمام جبروته فقد اتخذ قراره.

لتمكث تلك الليلة في غرفتها لاتبرحها، تمضي ساعات الليل الأولى وارتدت المدينة ثياب نومها وأُغلقت الأضواء وزادت ظُلمة الليل، أما هي فقد خيم الظلام على قلبها،ظلت مستيقظةً طوال الليل وهي تبكي بكاء المنكسر المحطم ولم يكن النوم يزور جفونها تلك الليلة، فكان كلما طرق النوم بابها منعه تفكيرها من الدخول تفكر بعمق بما سيحملُ لها الغد من أحزان يُكبل قلبها بأغلاله فكانت عيونها تنظر لسقف غرفتها ومابين غمضةٍ وأخرى تسقط دمعة وتنهيدة تُخرج دخان الحريق الذي في جوفها، فتقضي بقايا تلك الليلة بين السجود والركوع والتضرع بالدعاء لعلّ والدها يهتدي فيتراجع عن قراره وتبدأ المآذن بالتكبير ثم الصلاة خيرٌ من النوم لِتقم إلى صلاتها تُرتل الآيات بعد الفاتحة فتدعو في سجودها ليختلط الدمع بقماشِ سجدتها.

فما كان من النهار إلا أن ينشر خِيوط ضياءه على نافذتها، والشمس سرعان مابدأت بالظهور هي الأُخرى تنشر أشعتها فتسمع حديث والدها من خلفِ باب الغرفة
محادثاً أُمها قائلاً:

اليوم لدينا ضيوف لا أُريد تقصير وجهزي ابنتك

نهضت تنظر من النافذة لشوارع المدينة تمتلئ بالمارة، تشرد في تفكيرها العميق لما سيحدث في الساعات القادمة!

فتراودها الكثير من الأسئلة!

هل هذا ياتُرى كابوسًا أم إنها الحقيقة؟!

قطع تفكيرها وتوقفت الأعاصير من داخلها بصوت صديقتها وهي تسأل أمها:

أين هي أمل ألن تأتي إلى المدرسة اليوم؟!

فتُجيبها وداخلها يحترق على صغيرتها:

لن تأتي أمل بعد اليوم إلى المدرسة، لأنها ستتزوج ...

كانت أمل في غرفتها تستمع لحوار أمها وصديقتها

وقلبها يتجرع الأحزان وعينيها تُمطر على وجنتيها

فتمر الساعات وهي بغرفتها تسمع ضجيج الأطفال وضحكات النسوة لاتريد الخروج من غرفتها، وماهي إلا لحظات فيطرق الباب

"ابنتي هيا أُخرجي الجميع بإنتظارك علينا عقد القِران هيا اسرعي"

قُرئت الفاتحة وتم العقد ومات ما تبقى من أحلام أمل لتعود لغرفتها تُعارك الصداع المخيف والإختناق القاتل

فكيف لبراءة عينيها أن تتحمل كل ذاك الإحمرار تحتهما؟!

كيف لزهرةٍ مازالت تتفتح أن تتحمل الذبول؟

انطفئت روح أمل، وطفولتها ذُبلت وتلاشت أحلامها، تقطعت آمالها وتشتت.

هذا نهارها الأخير وليلتها الأخيرة في هذه الغرفة..

بدأ ضوء النهار يختفي تدريجياً، والشمس سرعان مابدأت تختفي تاركة ورائها أشعة تُضيئ الأجزاء العلوية للمدينة، وتستبدل المدينة ثياب النهار بثياب الليل وتعلو أصوات المآذن تعلن عن وقت صلاة المغرب.

تتوضأ أمل وتقيم صلاتها بخشوع وبقلباً منكسر تدعو الله أن يجبره... وتعلم يقيناً أن ربها يراها من حيث لاتدري، يراقبها ويعلم بكل ما أصاب قلبها، فتدعوه منكسرةً بين يديه وهو المستجيب لدعواتها...

أنقضت ساعات الليل بين التفكير وقلة الحيلة بين الركوع والسجود والتضرع لله وحان وقت إقتراب الفجر وقد آن للمآذن أن تحيّي على الصلاة والفلاح تنهضُ من سريرها تتوضأ وتلبس ما يحميها من برد ديسمبر القارص تُصلي الفجر بقلبٍ يرتجف تجلس في محرابها تستغفر الله وترتل الآيات حتى بدأت الشمس بالبزوغ تنشر أشعتها على أطراف المدينة ....الجميع بدأ بتجهيز لحفل الزفاف أصوات تملأ المنزل والجميع تغشاهم نوبات الضحك والسعادة إلا هي بقلبها الطفولي تغشي عليها نوبات من الحزن والبكاء بغرفتها لتطل عليها والدتها لترئ ما يُذيب القلب طفلتها الزهرة اليانعة يغشها الذبول تضع رأسها على حضن ولدتها وتنهمر عينيها بالبكاء

لماذا هو يكرهني هكذا؟

لماذا أبي لايُحبني كبقية الأباء؟

هل كان طلبي لإكمال دراستي شيء صعب عليه؟

يعتصر قلبها لصغيرتها فتمسح الدمع من خدها
فلم تكن بالقادرة على منع هذا الزواج فهي تعلم
بزوجها لاتردعه قوة على الأرض في أمراً عزم عليه

ينتظر الجميع كيف ستكون هذه الصغيرة صاحبة النظرات البريئة بفستانها الأبيض تقوم أمها وعماتها بتجهيزها فترتي كفنها الأبيض فقد ماتت حين عُقد قرانها واليوم هو يوم تشيع جنازتها بدأت أصوات الزفة والقلوب مبتهجة تُبارك لها هذا الزواج وتتمنى لها العيش الرغيد والحياة السعيدة مع زوجها تسقط على وجنتها دمعة فيظن الجميع أنهار دمعة الفرح وليس هناك سوى أمها تُدرك بأن تلك الدمعة لم تسقط إلا لقساوة مايحدث في روح صغيرتها

تُدق طبول الوداع ويحين وقت توديع أمل إلى منزلٍ جديد وأيام لا تعلم خفاياها يُودعها إخوتها وأمها أما أبيها فلم يكن حاضراً ليودعها كان كمن يتخلص من شيء لم يكن يريده منذ البداية لم يكن لها الأب الحنون والمضحي ولم يكن مصدر سعادتها ولاقوتها كان عكس كل هذا، فقدكان سبب لتعاستها وأختفاء ضحكتها البريئة حتى حين كانت
تحتاج حضنه لأخر مرة لم يكن حاضراً أرادت أن تراه للمرةِ الأخيرة لكنه رفض أرادته كعروس أن يمسك بيدها ويسلمها لعريسها وكإبنه لتبكي مودعه منزلها على حضنه
كان شعور مليئ بالقساوة أن تبحث الفتاة عن أبيها ولا تجده أن يكن على قيد الحياة ولاتجد حنانه ولا شعور الحب منه أن تكون ضعيفة في وجودة وهو الذي تعتقد أنه مصدر قوتها أن يعاملها كانها لاشيء بنسبة له

تخرج هذه البريئة بفستانها الأبيض تلحقُ بها النسوة بالزغاريد وتهمر هي من تحت الطرحة بالدموع
فلا تدري إلى أين ذهابها أو ماهي الحياة التي تنتظرها
وماالذي مُخبئ لها

غابت شمس ذلك اليوم ووضعت السماء لحاف ظُلمتها لتنقضي تلك الليلة لأمل في منزل جديد وفي وسط عائلة كبيرة ومع رجل مازالت لا تصدق أنه زوجها لكنه كان يُحبها وكانت عائلته تُحبها وتُعاملها برفق وبحنيه

كانت أمه تعاملها كإبنتها الصغيرة وتحبها أكثر من بناتها التي خُلقن من رحمها فمرت الأشهر وأُعلن خبر حملها كان خبر أبهج الجميع وسعد كل صغير وكبير في الأسرة أما عن أمل فقد كانت صغيرة لتتحمل مثل هذا الخبر

فقد كانت لاتزال صغيرة لتُصبح أماً ترى الجميع تغشاهم السعادة بهذا الخبر وداخلها يتمزق فكيف لفتاة بسنها أن تُصبح أم أتنعى بها الجميع كان زوجها يقدم لها كل ما تشتهي وما تريد لقد منحها الحنان الذي حُرمت منه ومن الحب الذي كانت تتمناه أحبها بطفولتها

وفي إحدى الليالي سألها عن حُلمها فحدثته عن حُلمها الذي تم حرقه فقطع لها وعداً بأنه سيسمح لها بتحقيق حلمها وأن تكمل تعليمها بعد أن تُنجب مافي بطنها وعندما تكون هي في المدرسة ستقوم أمه بعناية الطفل القادم إلا أن تعود فبتهج وجهها وأخضرت روحها من جديد كان لايُعاملها على أنها زوجته فقط لقد كان يخاف عليها وكانها إبنته يعلم بأن قلبها لايزال صغير على تحمل أثقال الحياة ومعوقاتها مرت الأسابيع والاشهر شهراً يلحقهُ شهر وأصبحت في شهرها التاسع وقرب موعد الولادة فكانت قد قررت مع زوجها إن كان ما ستُنجبه أنثى

فستسميها أحلام وإن كان ذكراً فهو من سيسميه

ومر الوقت لتأتي تلك الليلة بصراخ ألم الولادة كانت صغيرة على هذا الألم وهذا المقدار من الوجع لروح لاتزال في عمر الصغر فخلقت تلك الليلة الأحلام من رحم الأمل،

أنا الأحلام التي خُلقت من رحم الأمل

تلك الليلة كان يوم مجيئ إلى الدنيا إنه الأول من مايو يوم مولدي وموت أمي فأنا أتيت وهي ذهبت دون أن أعرف ملامح وجهها حدثتني جدتي حين كنت أطلبُ منها أن تُحدثني عنها كبرت دون أن أراها لم أرضع منها ولم أُقبل يدها ولم تكن موجودة لتغضب مني أو توبخني حين ما أخطأ كان ذاك الألم أكبر من قوتها فلم تستطع روحها الصغيرة تحمله تركتني أحن لها وأتسأل كل مانظرت لصورتها

_كيف كان صوتها؟!

_كيف كانت ضحكتها؟!

تسألت عنها كثيراً فما أقسى شعور أن تأتي إلى الحياة ولا تجد أمك فيها أن تبحث عن حضنها الدفئ والمستقر الأمن ولاتجده أن تُفتش عن رائحتها ولا تجدها أن تقطف الأزهار من جانب المنزل وتنام وهي بحضنك لأنهم أخبروك بأن رائحة أمك كانت كالأزهار فتجمعها وتنام معتقداً بطفولتك أنك وجدت رائحة أمك فيها تكبر يوماً بعد أخر وترى الجميع لديهم أمهات بجانبهم إلا أنت أمك يحتضنها التراب تكبر عاماً بعد أخر ويُصاحبك شعور أنك كنت سبباً في وفاتها وتكره يوم ميلادك هذا ما كان يحدث لي منذُ نعومةَ أظافري لم أعرف ماهو حنان الأم ولم أكن أنادي بأمي حين عودتي من المدرسة

فقد اعتنت بي جدتي وربتني وأحبتني لكن كان هناك دوماً سؤال طفولي يرافقني

_أين أمي؟

فتُخبرني بأنها في الجنة وهي تشاهدنا طوال الوقت ويوماً ما عندما يريد الله سنلتقي بها في جنة الخلد حيث لايفترق الأحبة ولا توجد الآحزان

والمشقة، فكنت لا أمل من سماع الآحاديث عنها من أبي كان يُخبرني كيف كانت تُحب التعليم و يحثني على تحقيق حلمها الذي تم إحراقه فأحببت حلم أمي وزدت إصراراً لتحقيقه

لم تكن الصباحات تنقضي إلا ويأخذني معه لزيارة قبر أمي كانت مقولة الشهيرة دوماً النهار يكون جميلاً حين نبدأه من المكان الذي فيه من نُحبه ياصغيرتي
يقف على قبرها فيخبرها بأنني تفوقت وحصلت على أعلى المراكز
ويتشكي لها عني بانني أتعبه أحيانًا فيتمنى لو أنها موجودة معنا فتدمع عيناه فكان يمسح في التراب ويقول نأمي بسلام أيتها الأمل فقد أنجبتي أحلام وهي الآن تتحقق نأمي براحة ياذات العيون البريئة فحلمكِ يتحقق في إبنتكِ كنت أشعر بحرقةِ قلبه التي كان يكتمها عني كنتُ أرى الحنين لها بين يعينيه كانت معه فقط لتسعة أشهر لم تكتمل السنة لكنه كان يقول هي أجمل ماحدث لي كانت بقلب صغير وعقل كبير فقد كانت تُسعدني ببرائتها أحبني من حبه لها فقد أمتلكتُ ملا مح أمي فكان يراها بيَّ فيُخبرني بأن أنفي يشبه أنفها وأن عيوني ذات عيناها كأن يأخذ بيدي إلى المدرسة وفي أزقة المدينة يقصُ عليّ القصص ويساعدني في حل واجباتي المدرسية فكنت دوماً في المركز الأول ويتم تكريمي ومنحي شهادات كان هو دوماً بجانبي كانت تغمره السعادةفي كل مرةٍ أتفوق بها لم يكن أبي رجلاً ضيق الصدر كان رحباً يضيق الكون ولا يضيق صدره علمتني إبتسامته البقاء قوية لتبقى هي أبديةً على وجهه

وتمر الأيام بضحكاتها وقساوتها ويمر الأول من مايو عاما بعد آخر ويحمل معه شوقاً لوجه أمي الذي لم أعرفه فأزداد شوقاً لحضنها ولصوتها ويأتي الخامس من أُكتوبر يهز قلبي بفقد حنان جدتي رحيلها أخذ جزاءً من دفئ الحياة
كانت في مقام أمي، بل أكثر فهي النهر الذي لا ينضب من الطيبة والحكمة، التي عاشت طويلاً لتسندني بحبها وقوتها الابتسامة التي كانت تضيء وجهها لم تكن مجرد تعبير عن الفرح، بل كانت

شعاعًا يدخل إلى قلبي ويملؤه بالأمل والطمأنينة حين كانت تحكي ليّ القصص، اشعر بأنها تأخذني في رحلة إلى عوالم من الخيال والحكمة، حيث تعلمتني من تجربتها وخبرتها بفقدانها فقدتُ جزءًا من تاريخي الشخصي لأن جدتي كانت هي الرابط الحي بين الماضي والحاضر في وجودها، كنت اشعر بقوة خاصة لأنها كانت تحبني بلا حدود وتدعو ليّ في كل حين كانت هي المأوى الآمن الذي الجأ إليه في أوقات الصعاب، والصدر الحنون الذي يضمد جراحي بمحض وجوده لحظة رحيلها تركت في قلبي جرحًا عميقًا،غادرت جدتي الحياة وأخذت كل ماهو جميل معها رحلت من كانت ليّ الأم والجدة من طرزت لي الثياب بعد الفراغ من صلاتها وعندما تُكمل أضع رأسي على صدرها فتمسح على رأسي وتقول الحياة جميلة عندما تبتسمين أطلقي عنان ضحكتكِ يا صغيرتي

فملح الحياة ضحكتكِ ولكنها ذهبت بلا عودة

لم يكن فراقها سهلاً ولا شعور فقد أمي للمرة الثانية يُحتمل شعرتُ بضعف يحتلُ كل مواطن حياتي بعد رحيلها بأحزان افترست قلبي

كل ركن في البيت يذكرني بها، برائحتها التي تعبّق المكان، وثيابها التي تملأ الخزانات بعبق الحياة التي كانت تملؤها كل مرة كنت أدخل فيها إلى غرفتها الفارغة مع أبي أشعر بأن الهواء نفسه قد توقف عن التنفس، وكأن الحياة قد تسربت من بين أيدينا بغيابها وفي إحدى الأيام إشتقتُ لرائحتها فذهبت إلى غرفتها أفتش عن رائحتها في ثيابها فتحت خزانتها فوجدت لعبتي منذ كنت صغيرة وأول دفاتري الذي بدأت بكتابة الأحرف العربية عليه وشهادات تفوقي وأغراض أمي كانت تحتفظ بكل أشيائي سقطت على الأرض أذرف الدمع محطمة القلب فدخل والديّ على صوت بكائي ضمني إلى صدره ومسح على رأسي

وقال أشعر بكِ يا صغيرتي كلانا فقد أمه أما أنتِ فقد فقدتها مرتين

مسح دموعي بيديه الطاهرة وقال"تماسكِ ياإبنتي عليك اكمال دراستك الثانوية تبقى لك هذه السنة وعليكِ الخروج بمعدل يسمح لكِ بدراسة الطب فجتهدي ولاتدعي حزنكِ على جدتكِ يتغلب عليكِ جميعنا مصابون بألم فراقها لكن ما في اليد حيلة كل نفسٍ ذائقة الموت ونحن جميعنا راحلون بعدها

فما على القلوب إلا الصبر والدعاء لها بالرحمة والمغفرة ثم لو كانت هي بيننا الآن ماكانت ستسمح أن تكونِ بهذه الحالة الم تكن تُخبركِ بأن الحياة جميلة بضحكتكِ

كلما أتذكر جدتي، تتراقص أمامي صورها وهي تقص عليّ حكايات الزمن الجميل، وهي تتعهدني بالرعاية والحنان كنتُ أستيقظ على صوت دعواتها لنا بالصحة والسعادة، وتحضيرها للطعام الذي يحمل في طياته حكايات الأجداد ونكهة المحبة كانت تقول لي دائماً إن السعادة في العطاء، وقد أثبتت ذلك بحياتها المليئة بالتضحيات والكرم

خطفها الموت منا، وأصبحت ذكرياتها هي كل ما تبقى ليّ أجدني في كل يوم أرنو إلى الأيام الخوالي، و الروح قد انكسر نصفها الثاني بفقدانها كيف للأيام أن تمر دون أن أسمع صوتها أو أرى وجهها الباسم؟

كيف للشموع أن تضيء دون وهج ضحكاتها؟

في الياليِ الطويلة أشعر بحضورها في أحلامي تربت على كتفي وتمسح على رأسي وتخبرني أن الأمور ستكون على ما يرام اشتقت إلى نصائحها الحكيمة وللأمان الذي كانت تمنحني إياه بحنان لا مثيل له في غيابها أدركتُ كم كنت محظوظةً بحبها،وحنانها

أشرقت الشمس بعد لياليِ من الحزن

لموت جدتي وكان قد حان موعد إختباراتي درستُ بجد وبإجتهاد فقد كان على عاتقي حلم أمي وأبي وجدتي وعليّ أن أُحققه

سألت من الله التوفيق وخضعت لجميع الإختبارات وتفوقت بمعدل
98٠/٠

أُصيب أبي بنوبات الفرح لم يسبق أن شاهدته بكل هذه البشاشة في حياتي كلها شعر بفخر وهذا ما كنت أسعى إليه أن يبقى وجه أبي ضاحكاً ورأسه مرفوعاً بفخر
قرع أبي الطبول بفرحه وأقام أحتفالاً للأهل والأقارب
كنت السعادة تقطنُ بين عينيه بكئ بُكاء الفرح
قرر والدي أن نسافر إلى صنعاء لأبدا دراستي الجامعية هناك جمعنا ماتبقى لنا من ذكريات لنحزم معنا الحب إلى العاصمة وفي الأسبوع التالي قررت الذهاب إلى الجامعة والبداية في أول خطوة نحو تحقيق الحلم رافقني والدي عند رؤيته للجامعة أبتسم في وجهي فقال أنت أملي بعد ذهاب أمل كلما شعرت بأن والدي سعيد تزدادُ سعادتي كان قوتي التي لا أنكسر معه قدم لي الدعم دائما على مدى حياتي

كنت أعتمد عليه كليًا، فهو الأساس الذي بنيت عليه جميع آمالي وأحلامي كان السند والقدوة، منبع الحكمة والقوة، ومصدر الحب والدعم الذي لا ينضب كان حضوره في حياتي كالنبض في شراييني يغذي روحي بطاقةٍ لا تنضب

سجلت في الجامعة وبدأت العزم الفعلي لتحقيق حلمي وحلم أمي أحببتُ الطب من حب أمي له وأزددت جداً واجتهاداً وعزيمةً وإصرار
كان الشغف والحب لدراستي هو سبب تفوقي دائما أو بالأحرى حب أمي التي لا أعرفها هو ما يدفعني لتميز دائما كنت أتحمس لليوم الذي سأقف
على قبرها وأقول ها قد أكتمل الحلم يأمي وأصبحت إبنتكِ طبيبة حققت أحلامكِ يا أماه

وتمر الأيام بين جدران غرفتي أتوسد كتبي ودفاتري تمر الليالي ولا أعرف فيها حلاوة النوم

وتمر السنة الأولى والثانية بتفوق أضحك قلب أبي
وتبدأ سنتي الثالثة في الطب بشغف أكبر وإرادة أقوى وأجتهاد أكبر لكن سنتي الثالثة شاء القدر أن يرتجف فيها قلبي بالفقد مجدداً هذه المرة
فقدت قوتي وأنكسر ظهري رحل فيها أبي
تلقيتُ منه رسالة وانا في كافتيريا الجامعة كانت

"كيف حالكِ ياجميلة الجميلات كيف حال الجامعة معكِ مر طيفكِ على القلب فأراد أن يطمئن عليكِ أنتظركِ في بيت عمكِ كوني بخير قبلاتي على جبينك "

إتصلت به لم يجب على اتصالي، عاودت الإتصال به للمرة الثانية لكن لا مجيب شعرت بوخزات في قلبي كأن شيء غريب يحدث كررت الإتصال به للمرةِ الثالثة فأجابني صوت غرير لم يكن بصوت أبي كان صوتاً لا أعرفه لم يسبقى لي أن سمعته من قبل قال ماذا يقرب لكِ؟
أزدادت ضربات قلبي وأنا أريد منه أن يخبرني أين أبي؟!
كان صوته ينقطع بين الحين والأخر لم أسمع سوى قوله يا إبنتي ولدك أُصيب بحادث سير والآن نحن في طريقنا إلى المشفى وحالتة حرجة

سقطت على الأرض أرى صورة أبي على أوجه الجميع لا أكاد أُصدق ماسمعته، أبي لا يتركني هو وعدني أن يكون معي دوماً سقطت منكسرةَ الظهر فسقط الكون كله معي لم أعرف مايحدث حوالي فقط أسمعهم يتسألون ماذا جرى لها؟
ماذا حدث؟!
فاعجز عن النطق أنشلت لساني عن إخبارهم بما حدث اتصلت لأخبر عمي عن حال أبي

وقطعتُ شوارع المدينة واحداً تلوا الأخر لأصل إلى حيثُ أبي وعندما وصلت إلى المشفى كان عمي قد سبقني إليه فأخبرني أنه قد فارق الحياة فكان يُطبطب عليَّ ويقول "البقاء لله ياصغيرتي إن لله وإن إليه راجعون"

أحتضنتني إحدى زوايا المستشفى فلم يكن لي أماً تحتضنني ولا جدة، وحيدةٌ أنا دموعي أنهار لاتجف

وقلبي ممزق تم إخراج أبي من المستشفى وحانت مراسيم الدفن فإكرام الميت دفنه كما كان يقول عمي وحانت لحظات التوديع الأخيرة العناق الاخير القُبلات الأخيرة قبل أن يأخذوه أشتم رائحته للمرة الاخيرة يظلم العالم بعده كان هو النور لحياتي في الطريق إلى المقبرة كنتُ أُراقبهم وهم يحملون جنازة أبي على أكتافهم وضعوا الجنازة على الأرض وأخرجوا أبي ليضعوا في قبره

كنت أُراقبهم وهم يهيلون التراب عليه أضغط على فمي وأنتحب أُحاول كتمان صوتي خاطبتُ نفسي: كم أرتميتُ في أحضانه وكم من المرات حملني على ظهره كم مسح على رأسي بعطف وحب وأنا اليوم أراهم يسلمونه لتراب انقضت الدقائق وانفض الجميع وسار كلٌّ إلى عمله وأشغاله، كأن شيء لم يحدث، اقتربتُ من القبر وقد شكل التراب تلة صغيرة جلست عند رأسه اتلو على روحه الفاتحة ، أصبحت وحيدة وبلا قوة مات الكون في عيني رحل أبي وتركني، هي أقدار الله وما كان على الروح إلا الصبر على وجع رحيله

بكت السماء بعد مراسيم الدفن بثلاث ساعات كانت تبكي بغزارة كان يظهر نحيبها حين كان البرق يلمع خلف زجاج غرفتي ظل المطر يتساقط ومرت ثلاث أيام والسماء لاتكف عن البكاء وتنقضي أيام العزاء ولا أُصدق بأنني أصبحتُ وحيدة على هذه الأرض بدون أمي ولا أبي ولا جدتي التي أحببتها غادرني الجميع دون عودة أبي إلتقى بأمي ذهب إليها وأنا هنا وحيدة في عالمي تمر تلك الليلة بهدوء بدون أصوات الرعد وزخات المطر كانت ليلة هادئة بعد بكاء السماء ثلاث ليلٍ ؛

لماذا كفت السماء بكائها هل ياتُرى لأن عيونها لم تعد تحمل المزيد من الدموع؟!

أفقدت السماء عزيزاّ كما فقدتُ أنا؟! أما كانت تبكي هي الأخرى على عزيز قلبي؟!

وتمر أسابيع من إنفطار القلب تلحقها أشهر من الحزن وغياب طويل عن الجامعة.

الشعور بالوحدة

والتسألات تضرب راسي واحد بعد أخر

لما الحياة عاملتني بهذه القسوة أستكثرت علىَّ بأن يكن لي أم أركض عند حزني إليها أُقبل يداها توبخني و تمسح بيداها الطاهرتان على رأسي كنت يتيمة الأم والأن أصبحت يتيمةُ الأب فقد رحل أبي ذهب إلى حبيبة قلبه، أستنشقت الهواء بعد إختناق الرحيل وقررت العودة إلى موصلة دراستي لتحقيق حلم أمي

استيقضت صباح اليوم التالي على أشعة الشمس تتسلل عبر نافذتي وعلى أصوات العصافير كان صباحاً جميلاً عند الجميع أما أنا فلم أعد أعشق الصباحات فقد باتت خاليةً من صوت أبي ورائحة خبز جدتي أستجمعتُ نفسي وقررت الذهاب إلى الجامعة ومازلت أتذوق طعم الفقدان في صباحات خالياً من الأحبة أنا لوحدي نحرتُ عيناي دموعاً والغصة في القلب لاتنتهي أتجرع أشد ألالآم الدنيا وأتعبها

دخلت الجامعة للمرةِ الاولى بعد وفاة أبي اتذكر دخوله معي في يومي الأول قد كان مبتهجاً ومبتهلاً وها أنا اليوم اتلقى التعازي من الصديقات على رحيله الأبدي ما أقسى رحيل الآحبة وما أقسى أن يبقى المرء وحيداً دون حنان الأم وضحكة الأب ودعوة الجدة

اختطف الموت أحبتي ولم يترك لي لا حنان ولا ضحكة ولادعوة وجمع على قلبي وجعاً لانهايةَ له في كل مرة يعلمني الموت ما معنى الفقد كنت أُعاني من فقد أمي وحين حاولت نسيان وجع الفقدان على يد جدتي أراد الموت أن يعلمني فقدان الحنان مرةً أُخرى وعندما حاولت التشافي من فقدان جدتي وغياب حنانها أيقضني الموت من سُباتي العميق بطريقةٍ أهتز لها قلبي ودكت أركان حياتي علمني الموت هذه المرة بفقدان أبي

كم تمنيتُ تقبيل رأسه قبل الرحيل فيمسح بيده على رأسي إن الموت لايمهل يأخذ الأحبة دون إنذار

أخذت نفساً عميقاً لأحبس طوفان الدموع قبل دخولي القاعة

بدأ الدكتور محاضرته وأنا على مقعدي جسداً بلا روح أحدقُ في الفراغ ببلاهة لم أشعر بوجود أحد معي في القاعة أحاولت الإنتباه مع الدكتورولكن الذكريات تأخذني إلى أبي انقضت المُحاضرة دون أن أشعر ودون أن أدرك كلمة واحدة مما قالها الدكتور من القاعة وحدي بقيت في مقعدي
ليست لي شهية في الحديث مع أحد غادرت القاعة
في طُرقات الجامعة أمشي دون غاية ولا أدري إلى أين حتى قادتني أقدامي نحو حديقة الجامعة
حاولت مراجعة بعض من الدروس والمحاضرات المتراكمة وبينما أنا في صراع بين مراجعة الذكريات وبين مراجع الملازم صدر صوت الدكتور:
ــ موفقة إن شاءالله ياأحلام ليرفق حديثه وعظم الله أجركِ بفقدان ولدكِ جعل الله مثواه الجنة

حاولتُ حبس أمواج الدموع من عيني

ــ أجرك عظيم يا دكتور لله ما أعطى ولله مأخذ
وما على النفس الا الصبر على رحيل أحبابها.

ــ عندما يغادروننا أحباؤنا يا أحلام، تبدو الحياة وكأنها قد فقدت لونها، وتلاشى نبضها يصبح الوجود بلا طعم، وتتحول الذكريات إلى شظايا مؤلمة تلسع قلوبنا في كل لحظة تمر لكنه، في خضم هذا الألم الساحق ينمو شعورٌ عميق بضرورة التصبر ذلك الشعور الذي يأخذ بيدينا برفقٍ ليقودنا نحو

طريق التعافي إن التصبر في مواجهة الرحيل ليس سهلاً، بل هو معركةٌ داخلية نخوضها بكل ما أوتينا من قوة هو محاولة للتمسك ببقايا الأمل عندما تشعر أننا قد فقدنا كل شيء نحاول أن نقنع قلوبنا المتألمة أن هذا الفراق ليس نهاية القصة، بل هو فصلٌ جديد نكتبه بدموعنا وحنيننا الذي لا ينتهي في كل صباحٍ نخوضه بدونهم، نجد أنفسنا نصارع فكرة فقدانهم، نحاول جاهدين أن نحتفظ بظلالهم في ذاكرتنا، ونبحث عن السلوى في الأماكن التي كانوا يمشون بها، في الأحاديث التي كانوا يتبادلونها معنا، وفي اللحظات التي كنا نعيشها معاهم ولكن، نجد القوة الحقيقية في التصبر، لأن الحياة تستمر على الرغم من رحيلهم، ولأنهم يسكنون في قلوبنا وعقولنا، يحيون في أحلامنا وحنيننا التصبرعلى رحيلهم هو ذلك الضوء الصغير في نهاية نفق الحزن الطويل هو الإيمان بأن الأحبة الراحلين قد وجدوا مكانًا أفضل جنة الخلد وأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، وأننا في يومٍ ما سنلتقي بهم مجددًا الصبر هو القوة التي تدفعنا للنهوض من فراش الألم، للمضي قدمًا رغم الثقل الذي نجده في قلوبناوفي لحظات الشدة، نلجأ إلى الإيمان، نرفع رؤوسنا إلى السماء طالبين السلوى والعزاء نجد في الصلاة وفي الذكرى قوةً نستمد منها بريق الأمل الذي يضيء ظلمات الحزن ونذكر دومًا أن الحياةرغم قسوتها، مليئة باللحظات الجميلة التي تستحق أن نعيشها، والتي قد تحمل لنا في طياتها عزاءً غير متوقع تذكري يأحلام بأن

التصبر في رحيل الموتى هو رسالة نوجهها لأنفسنا قبل الآخرين، بأن الحزن، رغم عمقه، لن يهزمنا، وأننا رغم الفقد، سنبقى هناك لنحيي ذكرى أحبائنا، ونسير قدماً متشبعين بحبهم وأثرهم الذي لن يزول وتصبري ففي التصبر والصبر قوة.

ـــ كلامك فيه راحة يادكتور

فاللهم صبراً اللهم قوة

ـــ سأتركِ الآن لتُكملِ مراجعتكِ وإن وجد ما تستصعبينهُ فأنا في الخدمة

ــ شكراً جزيلاً يا دكتور

بعد إنتهاء حواري معه بقيتُ أنا في الحديقة أُراجع بعض الأوراق وبعد إنتهائي توجهتُ نحو القاعة
كان كلام الدكتور قد أحدث إيقاع في النفس أستمديت منه القليل من الأمل لمواصلة
تحقيق ما أسعى إليه

وقبل عودتي إلى المنزل أذهب لزيارة قبر والديّ
جلستُ عند رأسه ورحتُ أتلو الفاتحةو بعض الدعاء ثم حدثته قليلاً خُيل إليّ أنا والديّ يُحدثني
وأنه يريد أن يقول لي شيئاً ولكن كيف ستعبر الكلمات ثنايا التراب ودعتهُ ومضيت نحو المنزل
أحملُ في قلبي أطنان من الحزن والتعب
أنغمس في نوم عميق صحوتُ على صياح الديوك في الساعة الخامسة فجراً كان يوجد أكثر من ديكاً
في الحارة وتصيح بالتناوب صليتُ الفجر وتوجهتُ صوب كتبي ودفاتري أستعد للإمتحانات النهائية
كان قد تراكم عليّ الكثير من الدروس
وعليَّ أن أجتهد فيها

ومرت السنوات سنةً تلحقها أُخرى وقد اقترب موعد تخرجي وتبقى القليل للوصول هو إختبار
واحد يفصلني عن الحلم سأنتصر هذا اليوم
لأحقق حلمهم خضعت للإختبار وغادرت الجامعة متهجة نحو قبر والديّ لأعطيه البشائر بأن حلم
أمي وحلمه بأن أُصبح طبيبة قد أكتمل
صباح جميل أشرقت الأرض بنور ربها تطبعُ الشمس أُولى قُبلاتها على نافذتي إنه صباح مليئ بالخير

وتحقق الحُلم يمتزج فرحي بغصص الحزن أرتدي ملابسي وأضعُ قبعة التخرج وأذهب نحو قبر والديّ أتلو على روحه الطاهر الفاتحة أجلس كعادتي عند رأسه أحدثه كالعاده ها هو اليوم تخرجي من كلية الطب وقد أصبحت طبيبة

تمنيتُ لو أنها اليوم بجانبي يأبي لتُشاهدني وقد حققتُ حلمها فأضع هذه القبعة على رأسها وأسلمها في هذا اليوم شهادتي التي تمنت أن تحملها لو أن الموت لم

يخطفكم مني يا أبي فحلمكما أكتمل وفرحتي بدونكما ناقصة وبعد مراسيم التخرج سافرتُ متجهة إلى قبر والدتي وجدتي أحمل لأمي التي لم أحضى بحنانها ولابرؤيتها البشارة ولجدتي التي هدني رحيلها وقفتُ بجانب قبر أمي بدون أبي هذه المرة،

قد كان بجانبي والآن حبيبها بجانبها وأنا الوحيدة

بدون الآحبة قد تحقق الحلم فناموا بأمان وها أنا حيثُ حلمتِ أن تكونِ وحيث ماحلم أبي أن أكون وصلتُ أنا ولكنكما لستما معي فالحلم أكتمل وفرحتي ناقصة

فعليكم الرحمة وعلى روحكم السلام

جمعني الله بكم في جنته حيثُ لن نفترق أبدا

...

تمت.

اكتمل الحُلم

وصلتُ أنا ولكنكما لستما معي

فالحلم أكتمل وفرحتي ناقصة